

قدمت هذه الورقة البحثية الموسومة ب (نصوص جمع القرآن رؤية استشراقية عرض ونقد) في إطار فعاليات الملتقى الوطني الموسوم ب: (إشكالات تدوين وقوينة النصوص المقدسة في النقد الكلاسيكي والمعاصر: التناخ، الإنجيل، القرآن أنموذجا -مقاربات متعددة-)، المنعقد بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، من تنظيم مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان وكلية أصول الدين، بتاريخ: 2020/02/19م.

بقلم د. فتيحة محمد بوشعالة

مقدمة:

تعرض القرآن الكريم -باعتباره-المصدر الأول للإسلام لهجمة شرسة وحادة من طرف المستشرقين قديما وحديثا، حيث انكبوا على دراسته ونقده علمهم يقفون على ثغرات فيه تنزع عنه صفة القداسة وتزيح عنه صفة الكتاب السماوي، أو على الأقل تثبت أنه محرف مثله مثل باقي الكتب السماوية، ومن أهم الجوانب التي تناولوها في دراساتهم تلك، مسألة جمع القرآن الكريم والتشكيك في مصداقية نصوصها وتاريخها، وأنه تعرض خلالها للتحريف والزيادة والنقصان، وغيرها من صور التشويه، التي طرحوها. وإذا وقفنا على تلك النصوص التي تحدثت عن جمع القرآن نجدنا ثلاثة أقسام: قرآنا، أحاديث مرفوعة وموقوفة ومقطوعة.

وإذا رجعنا إلى تاريخ الاستشراق قديما وحديثا نجد أن المستشرق الألماني تيودور نولدكه (ت1930م) هو أكثر واحد ركز على نقد القرآن الكريم في كتابه (تاريخ القرآن)، وكل من جاء بعد صار له تبعاء، بل يعد هو مرجع المستشرقين الألمان ، حتى قال فيه تلميذه المستشرق الألماني رودري بارت صاحب أشهر ترجمة لمعاني القرآن: "تيودور نولدكه أستاذ الاستشراق الجليل الذي حظي باحترام عالمي في مادته.."¹، ووصفه عبد الرحمن بدوي بقوله: "يعد نولدكه شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، وقد أتاح له نشاطه الدائب وألمعية ذهنه وإطلاعه الواسع على الآداب اليونانية... أن يظفر بهذه المكانة ليس فقط بين المستشرقين الألمان بل بين المستشرقين جميعا"².

¹ - الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودري بارت، ترجمة مصطفى ماهر، ص 7.

² - موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص417.

وعد كتابه (تاريخ القرآن) بمثابة إنجيل المستشرقين ومصدرهم الذي نهلوا منه، حيث قال فيه "جولد تسيهر: "كتاب أصيل بكر" ويقول عنه المستشرق البريطاني آرثر جفري: "أنه أساس كل بحث في علوم القرآن في أوروبا"، ويقول المستشرق الألماني رودى بارت: "لقد أصبح كتاب (تاريخ القرآن) منذ زمن طويل كتابا أساسيا من كتب هذا الفرع من التخصص، ولا يحتاج لتبجيل ولا لتكريم أكثر من هذا...وعلى من يريد أن الاشتغال علميا بالقرآن على أي نحو أن يعتمد على كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) ذلك الكتاب الذي سيظل حافظا لقيمته على مر الأيام" وقال عنه المستشرق الألماني جوستاف بفانمولر: "وأما كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) فإنه يفي بكل متطلبات العلم، إنه كتاب عظيم القيمة لكل الذين يدرسون الإسلام، ولكنه بالنسبة لغير المستشرقين كتاب شاق الاستعمال"³.

واستفاد كثير من المستشرقين من هذا الكتاب أمثال: بلاشير، جولد تسيهر، شفالي، بروكلمان، شاخ، واسكواللي، كازانوف وغيرهم. وكل ما كتب في دائرة المعارف الإسلامية حول القرآن مبني على كتابه، إما اقتباسا أو تعليقا أو نقدا، أو بنوا عليه.

وعليه ارتأيت أن يكون موضوع هذه الدراسة هو نصوص جمع القرآن رؤية استشراقية، عرض ونقد ويكون تقسيم البحث كالآتي:

المسألة الأولى: منشأ الشبهات

المسألة الثانية: تحرير القول في مفهوم جمع القرآن .

المسألة الثالثة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في العهد النبوي ونقده.

المسألة الرابعة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في خلافة أبي بكر ونقده.

المسألة الخامسة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في خلافة عثمان ونقده.

المسألة السادسة: شهادة غريبة على ثبوت توثيق القرآن .

³- الوحي إلى محمد بين الإنكار والحديث النفسي، رضا محمد الدقيقي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ترجمة وقراءة نقدية في الجزء الأول ص 33، 34. الطبعة الأولى، إصدارات وزارة الأوقاف، قطر، 2009م.

المسألة الأولى: منشأ الشبهات

إن الباحث في تاريخ الشبهات التي أثارها المستشرقون حول قضية جمع القرآن الكريم وما حوته من ضلالات التحريف والزيادة والنقصان، هي في أصلها ليست من بنات أفكارهم، بل هي شبهات قديمة أثارها الروافض الشيعة وهم نقلوها عنهم وادعوا سبق فيها نتيجة ما يزعمون أنه منهج علمي اتخذوه ذريعة وغطاء للطعن في القرآن الكريم.

ومضمون هذه الشبهات هو: التشكيك في تدوين القرآن في عهد النبي ﷺ ثم الطعن في طريقة جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن وفي الأخير الطعن في طريقة الجمع الأخيرة على يد عثمان بن عفان رضي الله، وأنه وقع في المرحلتين الأخيرتين التحريف والزيادة والنقص.

وقد ثبت بالدليل أن مصدر هذه الشبهات هم الروافض، حيث ساق الإمام الباقلاني (403 هـ) رحمه الله في كتابه الذي ألفه للرد على هؤلاء (الانتصار للقرآن) حيث قال: " وزعم قوم من الرافضة أن القرآن قد بُدِّلَ وعُيِّرَ وخولف بين نظمه وترتيبه، وأحيل عما أنزل إليه، وقُرى على وجه غير ثابت عن الرسول.

وأنه قد زيد فيه ونُقص منه، وقال بعضهم: قد نُقص منه ولم يزد فيه، وأن لو قُرى كما أنزل لُوجد فيه لعن قوم من قريش وصحابة الرسول ﷺ بأسمائهم وأنسابهم، ولُوجد فيه أسماء الأئمة الاثني عشر منصوصاً عليها، كما نص على ذكر الرسول وغيره من الأنبياء.

وأنا لا ندري لعل الذي في أيدينا من القرآن أقلّ من عُشر ما أنزله الله تبارك وتعالى، وأن الداجن والغنم قد أكل كثيراً مما كان أنزل وأوجب على الأمة حفظه وضبطه، وأن علم ذلك ومعرفته عند الإمام الوافر المعصوم...⁴

وأضاف مقولة أخرى لهم تشكك في عمل الخليفين: " وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وجماعة الأمة أخطؤوا في جمع القرآن وجعله بين لوحين، وأنهم لم يرجعوا في ذلك إلى ثقة وبقين، بل إنما تلقطوه وأخذوه من الواحد والاثنين، ومن الرقاع واللخاف، واستشهدوا على ذلك الواحد والاثنين ومن لا تقوم الحجة بقوله وشهادته، وأن هذا هو سبب اختلاف المصاحف والقراءات، وذهاب أهل الحجاز إلى حرف. وأهل الشام إلى غيره، وأهل العراق إلى خلاف ذلك."

⁴- الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، 67/1.

وقال في كتاب آخر وهو (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل): "وأما تعلقهم بأن عثمان جمع القرآن وحرق المصاحف وسبق إلى ذلك فإنه جهل عظيم لأن هذا من فضائله وتسديد عمله عند ما حدث من الاختلاف والتهاجج بين القراء وعدوان بعضهم على بعض ووجود كل ملحد ومدغل السبيل إلى الطعن في الدين وإفساد التأويل والهزل بأئمة المسلمين..."⁵

كما أشار أبو بكر بن العربي (543هـ) إلى بعض تلك الشبهات ومصدرها في كتابه -العواصم من القواصم) حيث ذكر في قاصمة: "قالوا معتدين، متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه، ولا بن مسعود حتى كسر أضلعه ومنعه عطاءه، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف..."⁶

ويقول محقق الكتاب تعليقا على ذلك: "وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين علي فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسومه وتلاوته، في جميع أمصار ولايته، وبذلك انعقد إجماع المسلمين

في الصدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم، بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.... ولكن نجم لهم أذنان في العصور التالية فضحوا أنفسهم بسخفهم وكفرهم، كشيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضي..."
ونختم التدليل على أن منشأ الشبهات شيعي بما قاله ابن حجر (853هـ): "وَقَدْ تُسَوَّلُ لِيَعُضِ الرَّوَافِضُ أَنَّهُ يَتَوَجَّهُ الْإِعْتِرَاضُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِمَا فَعَلَهُ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ فَقَالَ كَيْفَ جَازَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ..."⁷

وحين نعرض لمواقف المستشرقين حول المسألة يتبين أنهم كرروا الشبهات نفسها.

⁵- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلائي، ص 503

⁶- العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، ص 275، مكتبة الأنصار، القاهرة، ط 1، 2006م.

⁷- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 13/9.

المسألة الثانية: تحرير القول في مفهوم جمع القرآن

لإزالة بعض اللبس في الأذهان حول المسألة ومن باب توضيح المصطلحات وتحديدها، يتحتم علينا تحرير القول في مفهوم مصطلح (الجمع) عند أصحابه وهم علماء الإسلام، ومن ثمة يتبين اللبس الذي وقع فيه المستشرقون أو أنهم تعمدوا التلاعب بالمصطلح.

فإذا رجعنا إلى نصوص القرآن والسنة وكتب اللغة في تناول هذا المصطلح نجدها تحمل معان، جاء بمعنى الضم والتأليف وبمعنى الحفظ في الصدور وبمعنى الكتابة، وتفصيل ذلك كالآتي:

أ- **المعنى الأول: الضم والتأليف**، قال الزبيدي: "الْجَمْعُ، كَالْمَنْعِ: تَأْلِيفُ الْمُتَفَرِّقِ. وَفِي الْمُفْرَدَاتِ لِلرَّائِبِ وَتَبِعَهُ الْمُصَنَّفُ فِي الْبَصَائِرِ: الْجَمْعُ: ضَمُّ الشَّيْءِ بِتَقْرِيْبٍ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ. يُقَالُ: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ."⁸

ويقول ابن منظور في لسان العرب (53/8)

"جمع: جَمَعَ الشَّيْءَ عَن تَفْرِيقِهِ يَجْمَعُهُ جَمْعًا وَجَمَعَهُ وَأَجْمَعَهُ فَاجْتَمَعَ .. وَالْمَجْمُوعُ: الَّذِي جُمِعَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَإِنْ لَمْ يُجْعَلْ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَاسْتَجْمَعَ السَّيْلُ: اجْتَمَعَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ. وَجَمَعْتُ الشَّيْءَ إِذَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا. وَتَجَمَّعَ الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيْضًا مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا" ويقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط، 528/1: "الجمع تأليف المتفرق"

فمن خلال هذا المعنى اللغوي للكلمة نفهم أن من معاني جمع القرآن ضم بعض سوره وآياته إلى بعض مما كان مفرقا .

ب- **المعنى الثاني: الجمع بمعنى الحفظ في الصدور** واستعملت فيه مرادفات شتى، كالضبط والحفظ والتحصيل.

- فمن نصوص القرآن التي أوردت الجمع بمعنى الحفظ في الصدور قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿٨﴾ ﴿القيامة: ٦١ - ٨١﴾

⁸- تاج العروس، الزبيدي، (20/451).

ويجمع المفسرون على تفسيرها، فيقول شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله: " وقوله: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى تثبته فيه (وَقُرْآنَهُ) يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك..."⁹

ويقول الماوردي رحمه الله: " {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك، قاله ابن عباس. الثاني: علينا حفظه وتأليفه، قاله قتادة. الثالث: علينا أن نجمله لك حتى تثبته في قلبك، قاله الضحاك."¹⁰

ويقول المفسر اللغوي الزمخشري رحمه الله: " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهي عن العجلة بقوله إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ وَإِثْبَات قِرَائَتِهِ فِي لِسَانِكَ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ"¹¹

وهم جميعهم اعتمدوا في تفسيرهم على الحديث الصحيح : (عن ابن عباس في قوله تعالى : لا تحرك به لسانك لتعجل به قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفثيه - فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفثيه - فأنزل الله تعالى : لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه : فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قال :

⁹- تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (24/ 68).

¹⁰- تفسير الماوردي، النكت والعيون (6/ 156)

¹¹- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 661)

فاستمع له وأنصت : ثم إن علينا بيانه ثم إن علينا أن نقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه¹²

-ومن الأحاديث المرفوعة التي تبين أن معنى الجمع هو الحفظ في الصدور ما جاء عن أبي هريرة رضي الله: قال ("حدثني رسول الله ﷺ : " أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية ، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله : بل أردت أن يقال : إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك¹³ فالمقصود بالجامع القارئ كما فسرها الحديث نفسه.

وروي عن مالك في " العتبية " قال: " كتب إلى عمر بن الخطاب من العراق يخبرونه أن رجالا قد جمعوا كتاب الله تعالى، فكتب عمر: أن افرض لهم في الديوان. قال: فكثير من يطلب القرآن، فكتب إليه من قابل أنه قد جمع القرآن سبع مائة رجل. فقال عمر: إني لأخشى أن يسرعوا في القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين. فكتب ألا يعطيهم شيئا ".

وسئل مالك عن صبي ابن سبع سنين جمع القرآن، فقال: " ما أرى هذا ينبغي ".
وإنما وجه إنكاره ما تقرر في الصحابة من كراهة التسرع في حفظ القرآن دون التفقه فيه
14

وجاء في فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص113 عن عبد الله بن عمرو، قال: " من جمع القرآن فقد حمل أمرا عظيما، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد فيمن يحد، ولا يجهل فيمن يجهل، وفي جوفه كلام الله عز وجل."
فكل هذه النصوص تدل على معنى الحفظ في الصدور، وذكر الباقلاني مصطلحات أخرى للجمع بمعنى الحفظ في الصدور فقال: " مع شدة الحاجة إليه [أي القرآن] في الصلاة التي هي أصل الدين،

12- متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي - باب بدء الوحي حديث:5، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة - حديث:708.

13- أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الرياء والسمعة، حديث:2362، وقال حسن غريب، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، جماع أبواب صدقة التطوع - باب التغليظ في الصدقة مرأة وسمعة، حديث:2311.

14- الحوادث والبدع أبو بكر الطرطوشي المالكي، ص: 97

ثم في الأحكام والشرائع، واشتغال الهمم المختلفة على ضبطه: فمنهم من يضبطه لإحكام قراءته ومعرفة وجوهها، وصحة أدائها. ومنهم من يحفظه للشرائع والفقهاء. ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه. ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة. ومن الملحدين من يحصله لينظر في عجيب شأنه.¹⁵

ت- المعنى الثالث: الجمع بمعنى الكتابة والتدوين، وجمع القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات، الأولى في عهد رسول الله ﷺ، والثانية في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والثالثة في زمن عثمان رضي الله عنه.، ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ»¹⁶ ويقول الباقلاني في ذلك: " وأن رسول الله - ﷺ - سنَّ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاه على كتبه، وأنه لم يمُتْ - ﷺ - حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الباؤون منهم سائرهُ مُتَّفَرِّقًا، وعرفوا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك أحد ممن ليس من الحفاظ لجميع القرآن."¹⁷

فكل هذه النصوص تبين أن مسألة جمع القرآن ليس المقصود بها الكتابة فقط بل الحفاظ قبل الكتابة، وأيضا الضم في موضع واحد، ومن ثمة فالضجة التي أقامها المستشرقون حول قضية جمع القرآن لا ترقى للطعن في القرآن، لأن القرآن الكريم مجموع في الصدور أولا وأخيرا وأما مسألة الكتابة فهي زيادة تثبت وتوكيد حفظ لا أكثر، خاصة بالنسبة للأعاجم الذين هم حديثي عهد بالإسلام، محفوظ بذلك بحفظ الله له حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ الْحَجَر: ٩

والآن نستعرض آراء المستشرقين في نصوص جمع القرآن الكريم:

المسألة الثالثة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في العهد النبوي ونقده.

" وفي الحق يندر أن يوجد مستشرق يكتب في الدراسات القرآنية ليس له رأي أو معتقد معين بخصوص جمع المصحف في حياة النبي ﷺ وما بعد ذلك في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، ولذلك وُجِدَت دراسات استشراقية قد تكون عديدة اعتنت بدراسة تاريخ جمع القرآن الكريم من أول يوم إلى زمن

¹⁵- إجاز القرآن، الباقلاني، ص: 19

¹⁶- فضائل القرآن، القاسم بن سلام، ص283.

¹⁷- الانتصار للقرآن، الباقلاني، 64/1

الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان في مصحف وُسم بـ: "مصحف الإمام"، وقام بهذه الدراسات أشهر المستشرقين من بلاد مختلفة كالمستشرق الألماني ثيودور نولدكه Theodore Noldeke، والمستشرق الفرنسي بول كازانوف Casanova Paul والمستشرق الإنجليزي آرثر جفري A. Jeffery، والمستشرق الفرنسي ريجس بلاشير Blmachère Régis، والمستشرق المجري اليهودي الأصل جولد تسهير Goldziher وغيرهم ممن " تخصص اليوم في تاريخ المصحف فاتجه لجمع مخطوطاته بكل الطرق الممكنة سواء من أوروبا، أو من مختلف الدول الإسلامية، ومن هؤلاء المهتمين بمخطوطات المصاحف Fredec Imbert، و Solange Ory من جامعة إكس بمرسيليا و. " François Déroche. ¹⁸ وأثار هؤلاء المستشرقون جملة من الشكوك حول جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، وهي:

أ- التشكيك في كونه كتب في حياته ﷺ، حيث جاء في دائرة المعارف الإسلامية ¹⁹

ما نصه: "وقد أوصى الرسول بكتابة القرآن (تدوينه كتابة) وجمعه، وقد تم جزء من هذا العمل (كتابة النص القرآني وجمعه) أيام محمد وتوجيه منه" ²⁰

ويقول أ.ت ويلش: ((إن تاريخ القرآن بعد وفاة محمد لا يزال غير واضح، وإن إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مر بثلاث مراحل عبر تطورها، يصعب وضع تاريخ محدد لكل منها، وإن الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أن القرآن كان محفوظاً بطريقة شفوية، ثم كتب أثناء حياة النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أو بعد موته بقليل عندما جمع ورتب لأول مرة بواسطة الصحابة، ثم ظهرت النسخة الإمام أو المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ²¹

ومن الذين أثاروا هذا الشك أيضا المستشرق غوستاف لوبان حيث قال: "، ولم يُجمع القرآن نهائياً إلا بعد وفاة محمد، وبيان الأمر أن محمداً كان يتلقى في حياته عدة نصوص عن الأمر الواحد، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الثالث على قبول نص نهائي مقابلاً

¹⁸- جمع المصحف الشريف بين حقد المستشرقين وجحود الحدائين، بحث من إعداد أ.د/ محمد بن زين العابدين رستم

أستاذ التعليم العالي جامعة السلطان المولى سليمان كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية بني ملال المملكة المغربية، ص 6

¹⁹- كما هو معروف دائرة المعارف الإسلامية ألفها مستشرقون هم: م.ت. هوتسما، و أرنولد، ر.ب.سيت، ر.هارتمان

²⁰- موجز عن دائرة المعارف الإسلامية، ص 8167.

²¹- دائرة المعارف الإسلامية،

بين ما جمعه أصحاب الرسول، والقرآن مؤلف من مئة وأربع عشرة سورة وكل سورة مؤلفة من آيات، ومحمد هو الذي يتحدث فيها باسم الله على الدوام²². " ويذهب إلى هذا الرأي أيضا سوردال حين يقول: " أن الآثار الإسلامية نفسها تدل على عدم قيد الآيات القرآنية بالكتابة تحت رقابة النبي محمد ولا هو ضمها ضمن مجموع كامل، بل اكتفى فقط قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي، الذي امتد على فترة سنوات طويلة وتم تبليغه نجوما حسب الاقتضاءات. ومبادرة بعض الصحابة هي وحدها التي تفسر تدوين مختلف المقاطع تدريجيا وبطريقة غير منتظمة وبأدوات بدائية مختلفة، انصرف عنها التسجيل في نسخ إلى ذاكرة بعض الحفظة، وكان لابن عباس وعلي وأبي مصاحف خاصة، وأما المصحف الرسمي فقد اعتمد على عهد عثمان وبأمره وأرسلت منه نسخ، إلى دمشق والكوفة والبصرة ومكة، وإن كان أهل الكوفة أعلق بمصحف ابن مسعود المشهور ببعض اختلافاته.²³

وهناك من قال أن القرآن لم يدون إلا في المدينة، أي أن الفترة المكية وهي الأطول في فترة نزول الوحي لم يدون فيها القرآن الكريم، وقال بذلك المستشرق بلاشير²⁴.

وقد رد مثل هذه الشبهات أسلافنا، فهذا الباقلاني رحمه الله ألف كتابا في ذلك سماه (الانتصار للقرآن)، جاء فيه: " وأن رسول الله ﷺ سنَّ جمع القرآن وكتابه وأمر بذلك وأملاه على كتبه، وأنه لم يُمْتُ - صلى الله عليه وسلم - حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الباؤون منهم سائرهُ مُتَّفَرِّقاً، وعرفوا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك أحد ممن ليس من الحفاظ لجميع القرآن.²⁵

وأما رد ذلك فيما ثبت من أحاديث تنص على ثبوت كتابة القرآن الكريم كاملا في عهد النبي ﷺ، وهي كثيرة، نذكر منها الصحيح فقط:

²²- حضارة العرب، غوستاف لويان، ص115

²³- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر، محمد البشير مغلي رحمه الله، ص.252

²⁴- انظر بحث مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه - عرض ونقد -، د.أبو بكر كافي، ص12.

²⁵- الانتصار للقرآن، الباقلاني، 64/1.

- 1- الحديث الذي ينهى فيه عن كتابة غير القرآن، حيث روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"²⁶ ففيه بمفهوم المخالفة الأمر بوجوب كتابة القرآن الكريم. وعرف الصحابة المكلفون بالكتابة بكتابة الوحي، منهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعبد اله بن مسعود، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.
- 2- ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه لما كلفه أبو بكر بجمع القرآن في مصحف، حيث قال: (قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه..)²⁷ ففيه دليل أنه كان كاتب للوحي من بين الكتبة في زمن النبوة.
- 3- ومنها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: (عن البراء، قال: لما نزلت ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ قال النبي ﷺ: " ادعوا فلانا " فجاءه ومعه الدواة واللوح ، أو الكتف ، فقال : " اكتب : لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)²⁸ ففيه دليل على حرص النبي ﷺ على كتابة كل ما ينزل أولاً بأول .
- 4- ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (: أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو)²⁹ ، وفي لفظ مسلم: " أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو). فهذا دليل واضح على وجود القرآن الكريم مكتوباً في عهده ﷺ . فهو لا ينهى عن شيء غير موجود.

²⁶- أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب التثبث في الحديث وحكم كتابة العلم - حديث:5437. وغيره.

²⁷- أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن - حديث:4706، وغيره.

²⁸- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة - باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، حديث:4327

²⁹- متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو - حديث:2849، ومسلم في كتاب الإمارة باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه - حديث:3564.

5- وروى ابن سلام عن عثمان رضي الله عنه قوله: (عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة ، دعا بعض من يكتب ، فقال : " ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا)³⁰

يقول القسطلاني: "وقد كان القرآن كله مكتوبا في عهده ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور"³¹.

فبمجموع هذه النصوص تبين أن القرآن الكريم كتب كاملا في حياته ﷺ، فقط لم يجمع بمعنى لم يضم في كتاب واحد كونه نزل مفرقا غير مرتب، يقول الزركشي: " وَإِنَّمَا لَمْ يُكْتَبَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْحَفٌ لِئَلَّا يُفْضِيَ إِلَى تَغْيِيرِهِ كُلِّ وَفْتٍ فَلِهَذَا تَأَخَّرَتْ كِتَابَتُهُ إِلَى أَنْ كُمِّلَ نُزُولُ الْقُرْآنِ بِمَوْتِهِ ﷺ .."³²

المسألة الرابعة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في خلافة أبي بكر ونقده.

وطبيعة جمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه تختلف عنه في العهد النبوي وعهد سيدنا عثمان رضي الله عنه، فجمع القرآن في عهد النبوة هو الحفظ في الصدور مع تدوينه فيما توفر لهم من مواد كتابة، مستقلة كل قطعة عن غيرها كون القرآن كان ينزل مفرقا على مدار ثلاثة وعشرين سنة، ولذلك لم يجمع في كتاب واحد حتى بعد وفاة النبي ﷺ، أما طبيعة الجمع في المرة الثانية في عهد الصديق فهو إعادة كتابته كاملا في صحف وجمعه بين دفتين، أي صار كتابا واحدا مجموع الأوراق.

ولم يسلم الجمع الثاني للقرآن الكريم، والذي كان في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه من التشكيك والظن فيه من طرف المستشرقين، حيث شككوا في صحة الروايات التي تتحدث عن سبب الجمع في عهده رضي الله عنه والتي تتحدث عن موقعة اليمامة ومقتل القراء فيها، كما شككوا في فقدان آيات من القرآن أثناء الجمع، وغيرها من الشبهات.

³⁰- ذكره القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص ، ورجال سنده كلهم ثقات إلا يزيد الفارسي فهو مقبول، ح 435.

³¹- هدي الساري، القسطلاني، 446/7.

³²- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 1 / 262.

(فمن المشككين في الروايات ويلش فيقول: (إن المسلمين قبلوا هذه الروايات على أنها صحيحة تاريخياً وأن ما فيها حق لا شك فيه، مع أن هناك مشكلات صعبة تحوط بها، حيث توجد روايات أخرى في كتب الأحاديث المعتمدة تناقض موضوع هذا الحديث).³³

أما المستشرقان كتاني وإسكوالي فيشككان في صحة واقعة اليمامة التي كانت سبباً في جمع القرآن قائلين بأن عدد الذين استشهدوا في هذه الموقعة من الحفاظ الذين ذكرتهم المصادر قليل

وهذا يعني أن خبر واقعة اليمامة لا يصلح أن يكون سبباً لانزعاج عمر ودعوته لجمع القرآن ولذلك فإن إسكوالي يذكر، أن الذين استشهدوا من الحفاظ من الصحابة في موقعة اليمامة كانوا اثنين فقط.

ولم يشذ هذان المستشرقان في التشكيك في هذا الأمر بل نجد مستشرقين آخرين يبدون تشكيكهم من أن تكون واقعة اليمامة هي التي قدمت الداعي إلى جمع القرآن ومن هؤلاء بروكلمان.³⁴

"ويشتط (برتون) إلى حد الذهاب إلى أن مجموع الروايات الخاصة بجمع القرآن من وضع الخيال وأن دور زيد بن ثابت رضي الله عنه البارز في هذه العملية إنما اخترع اختراعاً لأنه كان يكتب للنبي وهو شاب، وأنه كان من أواخر من مات من الصحابة.

كما يزعم (برتون) ومعه المستشرق (شخت) أن علمي الحديث والفقه، قد أثرا في عملية تزايد عدد الروايات الخاصة بجمع القرآن، كما يدعي أن هذه الروايات كانت من صنع المحدثين والفقهاء بغرض تأييد ما ذهبوا إليه من القول بالناسخ والمنسوخ"³⁵ ³⁶

³³- انظر بحث مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه - عرض ونقد -، د. أبو بكر كافي، ص 5

³⁴- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار، 1/139.

³⁵- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، محمد محمد أبو ليلة، ص 164 و168.

³⁶- هذا المقطع من النصوص استفدته من بحث الدكتور كافي: بحث مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه - عرض ونقد -، د. أبو بكر كافي ص 5 و6.

والروايات التي شككوا فيها هي في منهج النقد عند العلماء المسلمين من أصح الروايات، وتلك التي يتحدثون عن كونها مناقضة لها هي من الروايات الواهية عند المحدثين لا ترقى إلى معارضة الصحيحة، وهذا راجع لجهلهم بمنهج النقد الحديثي أو تعمدهم الخلط في ذلك للتضليل.

فأصح الروايات هي التي جاءت في صحيح البخاري وهي تبين أن فكرة الجمع كان سببها كثرة القتل التي أصابت القراء يوم اليمامة، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر بالمسارعة في جمع القرآن في مصحف واحد قبل أن يهلك كثير من القراء، وهذا نص الحديث:

(عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه - وكان ممن يكتب الوحي - قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإني لأرى أن تجمع القرآن " ، قال أبو بكر : قلت لعمر : " كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، " كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم " ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: " كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ؟ " فقال أبو بكر: هو والله خير ، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف ، والعسب وصدور الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم إلى آخرهما ، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر.)³⁷

³⁷- أخرجه البخاري في - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة - باب قوله : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما، حديث:4410

وهذا الحديث من أصح الروايات التي جاءت في الباب ولم ينفرد بها البخاري بل أخرجها أيضا ابن حبان والحاكم والبيهقي والطبراني وأحمد والطحاوي وفي موطأ ابن وهب على ما ذكره السيوطي. " إن الروايات الواردة في موضوع الجمع كثيرة فيها ما هو صحيح في أعلى درجات الصحة وفيها ما هو دون ذلك، وفيها الضعيف الواهي، والمنهج العلمي يقضي بالأخذ بالصحيح وترك الضعيف والواهي. أو التوفيق بين الأخبار الصحيحة الثابتة. ولكن كثيرا من المستشرقين شككوا فيما هو صحيح ثابت دون أدنى دليل علمي كما وقع لكتاني وإسكوالي وبروكلمان من التشكيك في أن تكون وقعة اليمامة هي الدافع لجمع القرآن في زمن الخليفة أبي بكر بالرغم من ورود القصة في أوثق كتب الحديث وهو صحيح البخاري.

وفيه أن القتل قد استحر بالقراء يوم اليمامة. وتفيد بعض المصادر أن عدد القراء الذين قتلوا في هذه الموقعة أربعمئة وخمسون من نحو ألف، ومع ذلك فإن إسكوالي يزعم أن الذين استشهدوا من الحفاظ من الصحابة في موقعة اليمامة كانوا اثنين فقط.

كما أن كثيرا منهم عولوا على الاختلاف بين الروايات في حديث جمع القرآن دون أدنى محاولة للجمع أو التوفيق بين الروايات كما فعل ويلش، مع أن الكثير من هذه الروايات ضعيف، وعلى فرض صحته فيمكن التوفيق بينه وبين ما صح. فمن ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق الحسن أن عمر بن الخطاب سأل عن آية في كتاب الله فقيل: كانت مع فلان، قتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله وأمر بجمع القرآن فكان أول من جمعه. فهذا الحديث إسناده منقطع، وعلى فرض صحته يكون المراد بقوله: أول من جمعه، أي أشار بجمعه³⁸

المسألة الخامسة: موقف المستشرقين من نصوص جمع القرآن في خلافة عثمان ونقده.

³⁸- مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه - عرض ونقد -، د. أبو بكر كافي ص 8 و7.

طريقة جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه تختلف من حيث الباعث والمضمون عن طريقة أبي بكر رضي الله عنه، كون الباعث على الأول هو خوف ضياع القرآن بموت القراء، ومضمونه هو إعادة الكتابة في مصحف بدل العظام واللخاف وأوراق النخيل، في حين طريقة عثمان كان الباعث عليها جمع الأمة على مصحف موحد خشية تحريف القرآن نتيجة كثرة الداخلين في الإسلام من الأعاجم وفشو اللحن، فكان غرضه نسخ عدة نسخ من المصحف الإمام لتوزيعه على المسلمين في كل بلد، يقول أبو بكر بن العربي في بيان ما قام به عثمان رضي الله عنه: "وأما جمع القرآن، فتلك حسنة العظمى [أي عثمان]، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها وردّ الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها. وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها... وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين علي فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسومه وتلاوته، في جميع أمصار ولايته، وبذلك انعقد إجماع المسلمين في الصدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم، بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.³⁹

وقد كان معظم التشكيك والطعن الذي أثاره المستشرقون موجه إلى الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه، حيث قالوا أن مصحف عثمان تعرض للتغيير نتيجة أخطاء النساخ، ورداءة الخط العربي وكثرة الاختلافات فيه وغيرها، وكل ذلك راجع لضعفهم في اللغة العربية وعدم فهمهم لطبيعة القراءات القرآنية، وكذا عدم إمامهم بالمصادر الأصلية وجل اعتمادهم على كتب الروافض وعلى الروايات الواهية.

ف نجد المستشرق برتون يرد جمع عثمان كلياً فيقول: "وقصة جمع عثمان للقرآن هي بدورها قصة مبتدعة (موضوعة) بقصد إخفاء حقيقة أن محمداً كان قد جمع القرآن بالفعل أثناء حياته وأن القرآن كان على عهده مصاغاً بشكله النهائي... ومن ناحية أخرى فإن ونسبرو يؤكد أن الروايات الخاصة بجمع القرآن والروايات المتعلقة بمصاحف الصحابة كلها موضوعة بهدف تقديم دليل

توثيقي قديم للنص القرآني... لكن الواقع أن النص القرآني لم يكن قد جمع حتى القرن الثالث الهجري..⁴⁰

وتضيف دائرة المعارف تشكيكا في عمل سيدنا عثمان رضي الله عنه في ص 8186: "من الناحية التاريخية من الأفضل أن نتحدث عن النص القرآني المعروف بمصحف عثمان وما ارتبط بطريقة قراءته لفترة استمرت لأكثر من ثلاثة قرون، لكن تاريخ القراءات غير واضح كما أن القضايا التي أثارها معقدة، بما في ذلك مسألة طريقة كتابة القرآن، وهي مرتبطة بالإملاء أو تهجية الكلمات.... لقد كانت هناك اختلافات منذ البداية في نسخ عثمان (اختلافات إملائية)... وقد ناقش المستشرق برجستراسر في كتابه عن تاريخ القرآن عددا من الاختلافات الإملائية في مصحف عثمان.."

ما ادعاه برتون فلم يقدم عليه دليلا علميا بل مجرد تخمين مردود عليه.

وأما ما سطره برجستراسر من اختلافات مزعومة فيرجع ذلك إلى عدم معرفتهم بحقيقة القراءات القرآنية والأحرف السبعة، وأنها ثابتة عن النبي ﷺ ولم تكن نتيجة أخطاء نساخ أو لعدم كفاءة الخط العربي، فقد ثبت أن هذه الاختلافات وقع شيء منها في زمن النبوة، وتعارض فيها بعض الصحابة، ثم تبين أن النبي ﷺ أقر قراءة كل واحد منهم، فقد جاء في الصحيحين عن: (عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام ، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها ، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لبيتته بردائه ، فجئت به رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتها ، فقال لي : " أرسله " ، ثم قال له : " اقرأ " ، فقرأ ، قال : " هكذا أنزلت " ، ثم قال لي : " اقرأ " ، فقرأت ، فقال : " هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا منه ما تيسر)⁴¹

" ويزعم ماسي وجولد زيهر أن الخط العربي لم يُتحرر الدقة فيه مما أدى إلى اختلاف

المصاحف العثمانية فيما بينها. وهذه الدعوى غير صحيحة لأمر:

⁴⁰ - دائرة المعارف الإسلامية، ص 8185 العمود الأيسر.
⁴¹ - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - حديث: 4711، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه - حديث: 1396، واللفظ للبخاري.

أولاً: إن اختلاف م رسوم المصاحف قام على أساس اختلاف القراءات المروية عن النبي ﷺ كان مقصوداً ولم يكن خطأ. وقال الإمام أبو عمرو الداني: (فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت: السبب في ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان-رضي الله عنه-

لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت، نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة،

وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها، كي تحفظها الأمة كما نزلت..."

ثانياً: إن الاختلافات الثابتة بين المصاحف العثمانية من حيث الرسم قليلة: فالاختلاف بين مصحفي الكوفة والبصرة كان في خمسة أحرف وبين مصحفي المدينة والعراق في اثني عشر حرفاً وبين مصحفي الشام والعراق في نحو أربعين حرفاً.

ثالثاً: وأما ترك الشكل والنقط في كتابة النص القرآني فكان مقصوداً هو الآخر ليحمل الرسم القراءات الصحيحة الثابتة، وفي هذا يقول الحافظ ابن الجزري: ((ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتملها مما لم يكن في العرصة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ...))⁴²

المسألة السادسة: شهادة غربية على ثبوت توثيق القرآن

وعكس ما روج له المستشرقون السابقون من التشكيك في توثيق القرآن في عهد النبوة وفي عهد الخلفاء، جاءت شهادة من أحد الباحثين الغربيين في المسألة تؤكد على صحة توثيق القرآن الكريم كما

⁴²- مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه - عرض ونقد -، د. أبو بكر كافي، ص 20 و 21 باختصار.

أثبتها علماء الإسلام، وهو الكاتب الفرنسي موريس بوكاي⁴³ maurice bucaille، حيث أثبت في كتابه (الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم) أن القرآن الكريم ثابت تدوينه منذ نزوله على النبي ﷺ، حيث قال في ص 150: "صحة القرآن لا تقبل الجدل... ولم يتعرض النص القرآني لأي تحريف من يوم أن أنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا... ففور تنزيله وأولا بأول كان النبي ﷺ والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب، وكان الكتبة من صحبه يدونونه. إذن فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصري الصحة هذين اللذين لا تتمتع بهما الأناجيل. وظل الأمر هكذا حتى موت النبي ﷺ. " فهو قد بين أن المصدرين الأساسيين لحفظ القرآن وتثبيتته هما الحفظ عن ظهر قلب وكذا الكتابة، ثم استطرد مبينا دور الحفظ في الاعتماد عليه حال التحقق قائلًا: " وفي عصر لا يستطيع في الكل أن يكتب، وإن كان يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب، تصبح التلاوة ذات فائدة لا تقدر، وذلك لإمكانيات التحقق العديدة التي تعطىها ساعة التثبيت النهائي للنص" فهو يقصد أن الحفظ الجماعي للنص القرآني من طرف المسلمين يعد ركيزة أساسية يعتمد عليها أثناء الكتابة النهائية للقرآن.

وقد استدل من القرآن نفسه على ثبوت التوثيق للنص القرآني، حيث بين تركيز القرآن على الاهتمام بالقلم، وكذا ورود ألفاظ عديدة فيه تبين مسألة التدوين، فقال في ص 150: "ويشير الأستاذ حميد الله في مقدمة ترجمته للقرآن أن أحد موضوعات أول الآيات التي نزلت على محمد ﷺ هو: مدح القلم باعتباره وسيلة إنسانية للمعرفة، ومن هنا يفهم: اهتمام النبي ﷺ بحفظ القرآن مكتوبًا".

ثم يردفه استدلاله قائلًا: "هناك نصوص تثبت صراحة أن ما قد أنزل على محمد ﷺ من القرآن قبل مغادرته إلى المدينة، أي قبل عام الهجرة، كان مثبتًا بالكتابة، وسرى كيف أن القرآن نفسه يقرر هذا... وهناك أربع سور تشير إلى تسجيل القرآن قبل أن يغادر النبي ﷺ مكة عام 622، وهي:

- ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ ۱۱ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ ۱۲ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ ۱۳ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ ۱۴ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ ۱۵ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ۱۶ ۝ ﴾ عبس.

⁴³ - موريس بوكاي دكتور فرنسي من مواليد 1920 م مختص في الأمراض الباطنية، اهتم بدراسة الكتاب المقدس مركزًا على الظواهر العلمية التي جاءت فيه، ولما لم تقنعه أدلته لجأ إلى القرآن الكريم ودرسه بعد أن تعلم العربية، وأمعن النظر فيه وفي تاريخ تدوينه، وفي الأحاديث النبوية توصل إلا أن ما جاء في القرآن ما هو إلا وحي رباني، والحقائق العلمية التي ذكرها القرآن لا تتعارض مع العلم بتاتا. ينظر مقدمة كتاب (الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم) تقديم ومراجعة منذر الحايك، ط دار صفحات، دمشق، 2015م.

وقد كتب يوسف علي في التعليقات على ترجمة للقرآن عام 1934م: أنه كان يوجد ساعة تنزيل هذه السورة اثنان وأربعون أو خمس وأربعون سورة أخرى بين يدي مسلمي مكة، من مجموع كلي قدره مائة وأربع عشرة سورة.

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مِّجِيدٌ ﴿٦٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ البروج.

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ الواقعة.

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الفرقان: ٥

وإن كانت الآيات التي استشهد بها لا تصلح كلها كونها تشير حسب المفسرين إلى ما هو عند الملائكة بالبيت المعمور. إلا أنها فيها إشارة إلى مسألة الكتابة والصحف ولعل هذا ما أراد الإشارة إليه، ولكنه في الآية الأخيرة وفق في الاستشهاد بها كونها تشير إلى مسألة كتابة ما أملي عليه ﷺ من غيره حسب زعم الكافرين ، ولكنها فيها تأكيد على أنه فيه كتابة، حيث قال في الصفحة 151: "والمقصود هنا الإشارة إلى اتهامات أعداء النبي ﷺ له بالكذب والادعاء ، فلقد كانوا يشيعون أن أساطير الأولين كانت تملئ عليه، وأنه بدوره كتبها، والكلمة هذه مثار جدل، ويمكن أن تعني أنه كان يكتب، أو يستكتب، ولكن ينبغي أن نتذكر أن محمد ﷺ كان أمياً، وأياً كان الأمر، فالآية تشير إلى هذا التسجيل بالكتابة الذي ينوه به حتى أعداء محمد ﷺ.

وهناك سورة نزلت بعد الهجرة تشير مرة أخيرة إلى تلك الصحف التي كتبت عليها وصايا إلهية: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ البينة. وهكذا يخبرنا القرآن نفسه بتسجيله في حياة النبي ﷺ.

ثم ينتقل موريس بوكاي من الاستدلال بالقرآن نفسه على تدوينه في العهد النبوي، إلى أدلة أخرى تثبت ذلك، حيث تناول الأحاديث التي نصت على تدوين القرآن في عهده ﷺ، فقال في ص 151: " ومن المعلوم أنه كان حول محمد ﷺ كتبة عديدون، منهم زيد بن ثابت المشهور الذي خلد اسمه...تجمع المصادر على أن النبي ﷺ كان يدعو واحدا من صحابته المتأدبين كلما نزل جزء من القرآن، ليمليه عليه ويحدد في الوقت نفسه مكان هذا الجزء الجديد في مجموع ما نزل سلفا. وتحدد الروايات أن النبي كان يطلب إلى كاتبه بعد الإملاء أن يقرأ له ما كتب حتى يستطيع أن يصحح ما قد يكون ناقصا.

وهناك رواية أخرى مشهورة تقول: بأن النبي ﷺ كان يتلو أمام جبريل في رمضان كل عام القرآن الذي أنزل عليه إلى حينذاك، وأن جبريل قد استقرأ النبي ﷺ إياه مرتين في شهر رمضان السابق على وفاته. ومعلوم أيضا أن المسلمين في عصر النبي ﷺ كانوا قد اعتادوا السهر في رمضان يسمعون القرآن كله في

صلاة التراويح. وتضيف مصادر عديدة أن زيد بن ثابت، كاتب النبي كان حاضرا عند آخر تجميع للنص، وهناك مصادر أخرى تتحدث عن كتبة آخرين عديدين.

وقد استخدمت أشياء متنوعة لإتمام أول تدوين للقرآن، مثل: الرق والألواح الخشبية وعظام لوح كتف البعير وأحجار الحفر الطرية. ولكن محمدا ﷺ قد أوصى المؤمنين في الوقت ذاته بحفظ القرآن عن ظهر قلب، وذلك ما فعلوا بالنسبة لكل ما يتلى منه عند الصلاة، أو بالنسبة لجزء منه. وهكذا ظهر الحافظون الذين كانوا يعرفون كل القرآن حفظا وينشرونه، ولقد اتضحت القيمة الثمينة لذلك المنهج المزدوج في حفظ النص بالكتابة وبالذاكرة".

ثم أشار إلى مسألة الجمع في عهد الخلفاء حيث بين -معتمدا على مصادره - أن أول من جمع القرآن المفروق في مصحف واحد هو الخليفة أبا بكر رضي الله عنه، ثم تطرق إلى طريقة الخليفة عثمان رضي الله عنه التي تختلف على طريقة أبي بكر، فقال في ص 152 و 153 ما ملخصه: "وبعد موت النبي ﷺ بقليل (632 م) طلب خليفته أبو بكر، أول خليفة للمسلمين إلى زيد بن ثابت أو كاتب للنبي ﷺ أن يعد نسخة من القرآن، ففعل، ثم قام زيد بن ثابت اتباعا لمشورة عمر، ولم يكن خليفة بعد، باستشارة كل ما استطاع أن يجمع من وثائق بالمدينة: من شهادات الحافظين إلى نسخ الكتاب المكتوبة على أشياء مختلفة، وما في حوزة بعض الخاصة، كل ذلك لتلافي أي خطأ ممكن في التسجيل. وهكذا أمكن الحصول على نسخة آمنة للكتاب..."

ويستطرد بحثه قائلا: "ثم كلف ثالث الخلفاء الراشدين، عثمان الذي تولى الخلافة من 644 إلى 655 ميلادية، لجنة من الخبراء، بعمل المقابلة التي تحمل اسمه [يقصد الرسم العثماني]. ولقد رصدت هذه المقابلة صحة الوثيقة المقامة في عهد أبي بكر والتي كانت في حوزة حفصة حتى ذلك الوقت، وقد استشارت اللجنة مسلمين يعرفون النص عن ظهر قلب. وقد تمت عملية تحقيق صحة النص هذه بمنتهى الدقة. ورئي ضرورة مطابقة الشهادات، وذلك لضبط أقل آية تسمح بأي جدل: ومن المعلوم أن بعض الآيات قد تنسخ آيات أخرى، تخص الفروض، وذلك أمر مفهوم تماما، إذا تذكرنا أن رسالة محمد ﷺ تمتد على عشرين عاما تقريبا. هكذا إذن انتهى إلى نص، تتبع السور فيه كما يعتقد اليوم نفس النظام الذي اتبعه النبي ﷺ في تلاوته الكاملة له أيام شهر رمضان كما رأينا أعلاه"

ثم يتحدث الرجل عن أسباب ذلك الجمع الذي اتبعه الخلفاء الثلاثة والدوافع المنطقية التي فرضت عليهم التحري والنسخ فيقول بكل موضوعية في ص 153: " ورب سائل عن الأسباب التي قادت الخلفاء الثلاثة الأول أبا بكر وعمر وعثمان -بشكل خاص- إلى القيام بتلك التجمعات والمقابلات، إنها أسباب بسيطة، فقد انتشر الإسلام بسرعة فائقة في العقود الأولى التي تلت وفاة محمد ﷺ ، وقد

تم هذا الانتشار وسط شعوب كانت تتحدث بلغات غير عربية، وكان لا بد من الاحتياطات اللازمة لضمان انتشار النص في نقائه الأصلي، وكان ذلك هو هدف التحقيق الذي قام به عثمان. وقد أرسل عثمان نسخا من هذا النص المحقق إلى مراكز الإمبراطورية الإسلامية..."

ثم يدلي الرجل بشهادة ميدانية علمية على أن القرآن المكتوب لم يقع فيه الخطأ إلى أيامنا هذه نتيجة العمل الدقيق الذي قام به سيدنا عثمان رضي الله عنه فيقول في ص 153: "وإذا نحينا جانبا ما قد يكون من أخطاء النسخ، فإن أقدم الوثائق المعروفة في أيامنا -بالنسبة للمخطوطات التي في حوزتنا في أوروبا، حيث توجد بالمكتبة الوطنية بباريس قطع يرجع تاريخها، حسب تقدير الخبراء إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، أي إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة."

ثم يتحدث الرجل عن فروق بين نسخ القرآن ويصفها بالطفيفة معتذرا أنها لا تؤثر، وهو لا يدري أنها متعمدة من سيدنا عثمان رضي الله عنها، للإبقاء على مختلف القراءات القرآنية المتواترة، فالرسم الذي أخذ اسمه هو لحكمة الإبقاء على الأحرف السبعة والقراءات المتواترة، مثل كلمة (فتبينوا) في مصاحف أخرى تكتب (فتبينوا) وهما قراءتان صحيحتان قرأ بهما النبي ﷺ فكان من حكمة سيدنا عثمان من جهة، ومن جهة أخرى أن العرب لا تعجم الحروف، أن ترك المصاحف دون نقط لتجمع كل القراءات الثابتة، فقال: "إن هذا الحشد من النصوص القديمة المعروفة متطابق كله فيما عدا بعض النقاط الطفيفة جدا التي لا تغير شيئا من المعنى العام للنص، برغم من أن السياق قد يقبل -أحيانا- أكثر من إمكانية للقراء. وذلك يرجع إلى أن الكتابة القديمة أبسط من الكتابة الحالية."

خاتمة:

وفي الختام نقول أن ما أثاره المستشرقون حول نصوص جمع القرآن الكريم كثير منها يفتقر للمنهج العلمي الذي يصدحون به كثيرا، ومنها ما هو راجع لجهلهم باللغة العربية، والبعض راجع لعدم استيعابهم حقيقة القراءات القرآنية، هذا من جهة الجمع الذي هو الكتابة والضبط، ومن جهة أخرى فشكوكهم لا وزن لها كون القرآن الكريم محفوظ بدقة متناهية لا نظير لها في الصدور وما الكتابة إلا زيادة توثيق، فهو محفوظ جيلا عن جيل من الأفواه إلى الأذان فالقلوب. وهذا تصديقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ الحجر: ٩

قائمة المصادر والمراجع

- 1- موجز دائرة المعارف الإسلامية. هم : م.ت. هوتسما، و أنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، اختصار الآثار العلوية، أبو بكر، ط 1، 1998م، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
- 2- الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، موريس بوكاي، تقديم ومراجعة منذر الحايك، ط دار صفحات، دمشق، 2015م.
- 3- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودى بارت، ترجمة مصطفى ماهر. المركز القومي للترجمة، 2011م، القاهرة.
- 4- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي. دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.
- 5- الوحي إلى محمد بين الإنكار والحديث النفسي، رضا محمد الدقيقي. إصدارات وزارة الأوقاف، قطر، ط2.
- 6- كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ترجمة وقراءة نقدية في الجزء الأول، الطبعة الأولى، إصدارات وزارة الأوقاف، قطر، 2009م.

- 7- - الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلائي، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001 م.
- 8- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلائي، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان، الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م.
- 9- العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، ص 275، مكتبة الأنصار، القاهرة، ط 1، 2006 م.
- 10- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ
- 11- تاج العروس، الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 12- جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
- 13- تفسير الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- 14- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- 15- الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422 هـ
- 16- المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 17- الجامع الكبير المعروف ب سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م.
- 18- صحيح ابن خزيمة، محمد بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 19- الحوادث والبدع أبو بكر الطرطوشي المالكي، المحقق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي
الطبعة: الثالثة، 1419 هـ - 1998 م.
- 20- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلائي، لمحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر
الطبعة: الخامسة، 1997 م.
- 21- فضائل القرآن، القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م

- 22- جمع المصحف الشريف بين حقد المستشرقين وجحود الحدائين، بحث من إعداد أ.د/ محمد بن زين العابدين رستم، أستاذ التعليم العالي جامعة السلطان المولى سليمان كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية بني ملال المملكة المغربية، مقدم لمؤتمر الأردن في المصحف الشريف
- 23- حضارة العرب، غوستاف لوبان
- 24- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر، محمد البشير مغلي.
- 25- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ.
- 26- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية .
- 27- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار، ط 3، دار المعارف القاهرة.
- 28- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، محمد محمد أبو ليلة، ط 1، 2002م، دار النشر للجامعات، القاهرة.
- 29- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- 30- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 2005 م.